المشكلات تتفاقم. ويعود ٤٩ فرداً منهم إلى الولايات المتحدة... وبدلاً من مواجهة المشكلة برمتها، يتفق كارتر واحد معاونية، ويدعى **شارلس بلاك ويل**، على اغراء دفعة جديدة بالهجرة إلى ليبريا، وينجح في ذلك... لكنه لا يحل مشكلات الدفعة الاولى. ويدفعه عجزه عن حل المشكلات للبحث عن بدائل، ويأخذه تفكيره شيئاً فشيئاً نحو «اسرائيل»، فهي «المكان المناسب». ويستعرض الكاتب في رحلة البحث عن البديل تاريخ الحركة اليهودية منذ نشأتها، مروراً بالتحولات التي طرأت عليها على يد مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتسل، حتى انشاء دولة «اسرائيل» في سنة ١٩٤٨. ويستعين كارتر ببعض أيات وردت في الانجيل من أجل اثبات حسن اختياره، وصحة هذا الاختيار من الناحية الدينية. ويعوّل كارتر، ومعه بلاك ويل كثيراً على قانون العودة الاسرائيلي (The Israeli Law of Return) الصادر في سنة ١٩٥٠. والذي يحق بمقتضاه، لكل **يهودي** العودة إلى اسرائيل، والتمتع بالجنسية الاسرائيلية، وحقوق المواطن المقيم فيها.

وتفادياً لتكرار أخطاء وقعت في ليبريا، يذهب الاثنان في رحلة استطلاعية إلى اسرائيل، وهنا تنقطع أخبار كارتر، أما بلاك ويل، فيطلق على نفسه اسماً عبرانياً هو يحزقيل (Hezekiah)، ويذهب إلى احدى المستوطنات ليعمل بها نجاراً، ولا تصادفه أية مشكلات. ومن هناك راح يبعث إلى أصدقائه الذين بانتظاره في ليبريا بتقاريره المشجعة عن الأوضاع في اسرائيل.

يبدأ المهاجرون استعداداتهم للسفر إلى اسرائيل، لكنهم يشعرون في خضم ذلك أن ما يقومون به، **يناقض** الفكرة الأساسية وراء **هجرتهم** من شيكاغو إلى افريقيا. فالذهاب إلى افريقيا هو بمثابة العودة إلى «الأرض الام» وليس الخلاص من الظلم الواقع عليهم فقط. ويتصلون بالسفارة الاسرائيلية في مروفيا، لانهاء اجراءات السفر، لكنها تشعرهم أن قانون العودة الاسرائيلي لا ينطبق على حالتهم، وأن في وسعهم دخول اسرائيل بوصفهم سواحاً اميركيين، لا كمهاجرين يهود! هنا يسقط في أيديهم. لكن دفعة اولى من خمسة أشخاص تتوجه نحو تل – أبيب؛ وبمجرد وصولهم، تبدأ مشكلاتهم: هل هم يهود عائدون؟ هل هم سواح اميركان؟ من هي الجهة التي ينبغي عليها متابعة قضيتهم.

تستقر القضية بين يدي **وزارة الاستيعاب**، التي تأخذهم إلى مستوطنة **عراد** (Arad) في النقب. هناك ينخرطون في العمل، ويتأقلمون مع الأوضاع، لكن مستقبلهم لا يزال معلقاً، إذ لم تحدد الصفة التي دخلوا البلاد بها. ويصل الأمر إلى وزارة الداخلية، فتتخذ قراراً باعتبارهم يهوداً عائدين... فهذا يشجع الآخرين على النزوح. وبوصول الدفعة الثانية، واشهارها نفسها. تبدأ المشكلة مجدداً. اثبات هويتهم اليهودية!

هنا يدعي بلاك أنهم يتحدرون من قبائل الفلاشا التي تقطن الحبشة حالياً، والتي تعود اصولها إلى هجرات يهودية قدمت من فلسطين. وتدور حوارات موسعة بين بلاك وبل والحاخامات اليهود، الذين دخلوا في نقاشات معه، من أجل الوصول إلى حل. ينجح الكاتب هنا في اعطاء خلفية واسعة لمختلف الطوائف اليهودية، وللاصول التاريخية لكل منها. وهذه ليست المرة الاولى التي يلجأ فيها إلى مثل ذلك. ففي الفصل الأول، وفي خلال مرحلة تحضير خطة «الهجرة» يسلط المؤلف أضواءً قوية على التيارات المختلفة في حركة الزنوج الأميركان، ويكشف جوانب مهمة منها، وبالقدر ذاته، يزيح الستار عن بعض جرائم حتكارات والمؤسسات الغربية، وعلاقتها بتجارة الرقيق التي راجت في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

خلاصة النقاشات التي خاضها بلاك ويل مع الحاخامات اليهود، تظهر الكثير من الثغرات التي تعتور مداخلاته، ويصل الأمر بهم إلى التشكيك في «يهودية» قبائل الفلاشا ذاتها، فما بالك بالمجموعة التي لم تكن تمتلك ما يثبت يهوديتها سوى تمسكها هي بذلك. عندها يصل الجميع إلى طريق مسدود، يحاول بلاك ويل الخروج منه، بالاتفاق مع الحاخام الموكل إليه متابعة قضيتهم والذي يبدي تعاطفاً معهم، رغم قناعته، أن يهوديتهم اكتسبوها بالقراءة، وليس بالوراثة. وبعد تفكير عميق، يقترح الحاخام على بلاك ويل والدفعة الاولى التي وصلت، أن «يتحولوا إلى اليهودية»، لأن ذلك هو الحل الوحيد، الذي بامكانه أن يعطيهم حق الاستفادة من قانون العودة الاسرائيلي. وبدورهم يرفضون ذلك. وتبدأ المشكلة في الظهور من جديد.